البنية الصوتية للغة العربية من الشعر الجاهلي إلى القرآن الكريم

بقلم
د/ عادل محلُّو(*)

ملخص

ممّا لا يُختلف فيه أنّ نزول القرآن الكريم حدثٌ تاريخيّ شديد الخطورة وبالغ الأهميّة في مسيرة البشرية عامّة، والجزيرة العربية خاصة؛ إذْ ولَّدَ تحوّلات جذريّة وتغيّرات عميقة في مختلف مناحي الحياة العربية.

ولأنّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة فقد كانت من أوجه الحياة العربية التي مسّها هذا التغيّر، ولم يقتصر ذلك على مستوى من مستويات الاستعمال اللغوي دون غيره، فشمل كلّ المستويات: الصوتي، الصرفي، التركيبي، والدلالي. والهدف من ذلك إرساء لغة القرآن مرجعا جديدا بدل لغة الشعر الجاهليّ التي كانت قمّة البيان العربيّ ومنوال الكلام الرفيع قبل نزول القرآن الكريم.

ويسعى هذا المقال إلى رصد التطوّر الذي طرأ على البنية الصوتيّة للغة العربية من العصر الجاهلي إلى القرآن الكريم، وذلك من خلال فحص نصّيْن؛ الأوّلُ قصيدة لامرئ القيس عن الموت وجدوى الحياة والثاني سور: الطارق، التين، والتكاثر. والسؤال الأساس الذي يُطرَحُ بعد رصد التطوّر الصوتي هو: ما هي المسارات الجديدة التي فُتِحَت للغّة العربية بسبب ما أحدثته لغة القرآن الكريم من تطوّر في بنيتها الصوتيّة التي كانت في الشعر الجاهلي؟

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، القرآن، الصوت، الشعر الجاهلي.

(*) أستاذ محاضر قسم "أ" بقسم اللغة والأدب العربي ـ كلية الآداب واللغات ـ جامعة الوادي ـ الجزائر.

مقدمة

نشأَت الدراسات اللسانية الحديثة منذ محاضرات دي سوسير على أساس التمييز بين البحث الزمني (diachronique) والبحث التزامني (synchronique)، حتّى تصوّر بعض الدارسين. بشكل خاطئ. أنّها تُقصي البعد الأوّل لحساب الثاني[1]، والحقيقة أنّ سوسير اهتمّ بالبحث التزامني في الظاهرة اللغوية لأنّه يسبق البحث الزمني؛ فما تاريخ اللغة إلا سلسلة من "التزامنات" جُمعت إلى جانب بعضها بعض[2]، ومن هنا نصّ سوسير على أنّ أولى مهام اللسانيات هي:" أنْ تصِفَ وتؤرّخ لجميع أصناف اللغات التي يمكن أن تتوصّل إليها"[3].

ومن هذا المنطلق يأتي هذا المقال الذي يطمح إلى إقامة دراسة كميّة تناظرية بين عصريْن متتالييْن من تاريخ اللغة العربية، وهما: العصر الجاهلي وعصر نزول القرآن، وذلك من خلال وصف صوتيّ لمدوّنتيْن تمثّل كلّ واحدة منهما مرحلة من المرحلتين وصفا تزامنيا، ثمّ إقامة وصف زمني بينهما يبيّن أثر هذا التطوّر في اللغة العربية.

وبما أنّ اللغة ظاهرة معقدّة ومركبّة من مستويات متعدّدة في بنيتها فسيتمّ هنا الاقتصار على المستوى الصوتيّ في وحداته الأساسية: "الفونيمات". ويعود ذلك إلى أنّ المستوى الصوتي هو المستوى القاعدي في سلسلة الكلام، ومنه تُبنى الكلمات فالجمل، ثمّ النصّ.

والسؤال الأساس الذي يطرحه هذا المقال هو: ما هي المسارات الجديدة التي فُتِحَت للغّة العربية بسبب ما أحدثته لغة القرآن الكريم من تطوّر في بنيتها الصوتيّة التي كانت في الشعر الجاهلي ؟

أوّلا. وصف المدوّنتين:

من أجل تقديم أنموذج لتحقيق أهداف الدراسة اُختيرت مدوّنتان؛ إحداهما من الشعر الجاهلي والأخرى من القرآن الكريم لتخضعا لعمليّة إحصاء للوحدات الصوتية المكوّنة لبنية كلّ منهما، ثمّ لعمليّة وصف وتحليل يبرز المنحى التطوّريّ للبنية الصوتية للغة العربية من النصّ الشعريّ الجاهلي إلى النصّ القرآني(*).

وتختلف المراجع في تحديد عدد مضبوط لفونيمات النصّ القرآنيّ، فكثير منها يتحدّث عن عدد "أحرف" القرآن كاملا، ولا يمكننا التأكيد من أنّهم يستعملون المفهوم المناسب؛ فقد يكون الذين قاموا بالإحصاء أسقطوا الصوامت القصيرة من حسابهم، وقد يكون بعضهم اعتمد في العدّ على الشكل الكتابي لا النطق الصوتيّ، وهو ما يفسّر التباين الكبير بين الأرقام المقدّمة لعدد "أحرف" القرآن(4).

وتفاديا لهذه الاختلافات فإنّه على هذه الدراسة أن تقوم بإحصاء لفونيمات المدوّنة القرآنية المختارة وفق المعايير الصوتيّة العلميّة المتعارف عليها، ثمّ تحديد مدوّنة من الشعر الجاهلي قريبة من حيث كميّة الأصوات من المدوّنة القرآنية لتكتسب الدراسة مصداقية أكثر، وتكون نتائجها جديرة بالاعتماد عليها.

ومن جهة أخرى تتميّز قراءة القرآن بخصائص عن قراءة الشعر الفصيح، وذلك في إطار ما يُعرف بأحكام التلاوة؛ كأحكام الهمزة، الإدغام، القلقلة، الإمالة، والروم والإشمام وغيرها. وتبدو رواية حفص أقرب إلى قراءة الشعر من رواية ورش من حيث إثبات الهمز. ولمزيد من تجانس المدوّنتيْن صوتيّا لا بدّ من عدم احتساب خصائص التلاوة القرآنية في الروم والإشمام والقلقلة، وأحكام الغنّة وغيرها.

1. المدوّنة الشعرية الجاهليّة:

وقع الاختيار على نصّ لامرئ القيس يتكوّن من 13 بيتا، ومطلعه:

أرانا مُوضِعينَ لِحَتْمِ غَيْبٍ وَنُسْحرُ بالطعامِ وبالشرابِ(5)

وهو بائيّة على بحر الوافر تتناول مشكلة الموت الذي يسلب الشاعر شبابه وقوّته ليصير ترابا، وأنّ هذا الموت لم تفلت منه الصمّ الهضاب، ولا آباؤه الجبابرة فكيف سيفلت منه هو؟

وقام انتقاء هذا النص على أساسيْن؛ الأوّل هو موضوعه الذي يكاد يأخذ صبغة إسلاميّة قرآنية، وقربه الشديد من مضامين السور المكيّة، وخاصة قصارُها، وهو ما سيضمن قدرا من

الانسجام مع مدوّنة قرآنيّة من قصار السور.

أما الأساس الثاني فهو حجمه المتوسّط ـ 13 بيتا ـ الذي يتكوّن فونيميّا من:715 فونيما تُمكّن من تقديم مساحة كافية لاستخدام التنوّعات التي تتيحها اللغة العربيّة لمتكلّميها في المستوى الصوتيّ.

كما كان لقيمة امرئ القيس في الشعر الجاهليّ دوْرٌ في اختيار نصّ من ديوانه، فهو كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" سابقُ الشعراء خسف لهم عين الشعر"(6)، وهو:"أوّلهم كلّهم في الجودة امرؤ القيس له الحضوة والسبق"(7) كما يقول الأصمعيّ.

وهذا النصّ ـ بحسب الدكتور شوقي ضيف ـ من أصحّ ما يُنسب إليه من شعر ؛ فهو ممّا رواه الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء(8)، وفي ذلك ما يضمن أكبر قدر من تمثيله لعربيّة العصر الجاهلي وبنيتها الصوتية رغم ما يميّز لغة الشعر عن اللغة اليوميّة.

2. **المدوّنة القرآنيّة**:

في جانب النصّ القرآنيّ تمّ اختيار مجموعة من قصار السور وفق معياريْن؛ الأوّل هو حجم النصّ الذي يجب أن يكون قريبا كميّا من نصّ امرئ القيس، والثاني أن يكون مضمونها قريبا من مضمون نصّ امرئ القيس لأنّ تقارب المضمون ذا أثر على الاختيارات الصوتية التي تُبنى منها لغة النص، خاصة في مثل هذه النصوص التي تمنح للوظيفة الجمالية مكانة مميّزة.

وفي ضوء ذلك تمّ اختيار سور: الطارق، التين التكاثر، لأنّها تقدّم بنية فونيميّة كميّة مقاربة لنصّ امرئ القيس ومقدارها : 778 فونيما. كما أنّها من حيث المضمون تدور حول الموت الذي يشمل كل المخلوقات، والذي يجعل حياتها رهنا له رغم غفلتها عنه.

ثانيا. تحليل البنية الصوتية:

1. **البنية العامة**:

	النص الشعري		النص القرآني	
	عددها	نسبتها	عددها	نسبتها

الصوامت	409	٪57.20	461	٪59.25
الصوائت	306	٪42.80	317	٪40.74
عدد الفونيمات	***715***	**٪100**	***778***	**٪100**

يُبرز هذا الجدول حصول تطوّر في كميّة الصوامت في البنية الصوتية العربية من الشعر الجاهلي إلى النصّ القرآني؛ حيث ازدادت نسبة حضور الصوامت في هذا الأخير مقارنة بالأوّل، وهو ما يعني آليا تقلّص نسبة الصوامت فيه.

ولعلّ هذا التطوّر راجع إلى طبيعة الفاصلة القرآنيّة التي تُنطق صامتا ساكنا دون حركة في غالب الأحيان إلا إذا كان فونيمُ الفاصلةِ متبوعا بصائت طويل؛ أي حرف مدّ باصطلاح القدامى(9).

وفي هذا المنحى التطوّري الذي رسمه النصّ القرآنيّ توجّهٌ إلى تقليص دور الصوائت، وخاصة الطويلة منها لاستغنائه عن انفرادها بالفواصل على عكس النصّ الشعري الذي كان أكثر ميلا إلى القوافي المطلقة المتوّجة بصائت طويل.

وهو منحى يدفع باتّجاه افتراض سعي النصّ القرآني إلى كتْم الغنائيّة البارزة في النص الشعريّ؛ لأنّ الصوائت. والطويلة منها بشكل خاص. علامةٌ على الغنائيّة ولازمةٌ من لوازم الإنشاد لأنّها "...الحروف التي تساوِقُ النغمَ وتقترن بها، وتُبيّن بيانا غير مُستكره، وتحسُّ حسّا غير مُستبشع كما يعبّر الفارابي"(10).

إذنْ يسعى النصّ القرآنيّ إلى صناعة تحوّل جذري في بنية الذات العربيّة من خلال بثّ بنية صوتيّة جديدة تقلّص مساحة غنائيّة النصّ الشعري في اللغة العربية وتدفعها عن المركز إلى الهامش، ليحلّ محلّها نصّ ذو بنية صوتيّة تفسح مجالا أكبر للعقلانية وتدفع إلى التفكّر والتدبّر والتأمّل كما هو بارز في النصّ القرآني من خلال الحثّ المتكرّر على التدبّر والتأمّل والنظر وإعمال العقل(11).

ومن جهة ثانية فإنّ ترجيح البنيةِ الصوتيّة للنصّ القرآنيّ كفّةَ الصوامت مقارنة بالبنية الصوتية للنصّ الشعريّ الجاهليّ يعبّر عن منحى اقتصاديّ في اللغة؛ فالصائت يأخذ عادة مدّة نطق أطول من الصامت ويتطلّب جهدا أكبر من الصامت في نطقه [12].

وبهذا نفترض أنْ يمنح النصّ القرآني، من خلال بنيته الصوتيّة التي تُركِزُ الصوامت أكثر من النصّ الشعري الجاهلي، أن يمنح متكلّم اللغة فرصة استعمال أمثل لمكوّنات البنية الصوتية من خلال :"مبدأ الجهد الأقلّ" الذي يضمن تحسين أداء اللغة لوظائفها من خلال استعمال أكثر تكرارا للمكوّنات الأخفّ مقارنة باستعمال المكوّنات الأثقل[13].

ومن جهة أخرى تُمثّل مرْكزةُ النصّ الشعري الجاهلي للصوائت الستّة (06) في اللغة العربية مقابل مَركَزة النصّ القرآنيّ للصوامت العربية الثمانية والعشرين (28) نوعا من تبسيط اللغة، وضربا من تحييد عناصرها الأكثر تنوّعا مخرجا وصفاتٍ في السلسلة الكلامية، وهذا التبسيط سبب رئيس لموت اللغات حين تتصّل بلغات أخرى أقوى منها بنيويا وحضاريا[14]، وهو ما كانت اللغة العربية تستعدّ لاختباره ومواجهته بعد الإسلام مباشرة.

وعليه يُفترَضُ أنّ التطوّر التاريخي الذي طرأ على البنية الصوتيّة للغة العربية من النصّ الشعري الجاهلي إلى القرآن الكريم في التناظر الكميّ بين الصوامت والصوائت، يُفترَضُ أنّ كان طوق نجاة للغة العربية حفظها من الموت والاندثار في حالة تزايد اتّصالها باللغات المحيطة بها كالفارسية مثلا، لأنّها كانت لغة أمّة ذات حضارة وعلوم ومعارف تتفوّق على العربيّة البدويّة الفطريّة الجاهليّة.

ولعلّ اقتراض العربية من الفارسية لعدد من الألفاظ دون حصول اتصال وثيق بينهما ديمغرافيا وسوسيولوجيا كان مقدّمة للتغيّرات الصوتية والنحويّة التي بدأت تُلاحظُ حين انطلق الاتصال الوثيق بُعيد الإسلام، وهو ما اصطلح القدامى على تسميته بـ:"اللحن"، ولو امتدّ هذا التأثير حقّا إلى البنية الصوتيّة والنحويّة. أيْ إلى نظام اللغة. بعد أن كان مقتصرا على الألفاظ. أيّ متن اللغة. لكان ذلك سببا مباشرا لاندثار العربية وموتها؛ فـ:"... حين ترى لغةٌ

من اللغات أنّ نظامها الصوتيّ يذوب في نظام لغة أخرى، وترى أنّ جُملها صورةٌ لجمل لغة أخرى فإنّها تكون حينذاك في خطر الامتصاص"[15].

ويُتوقّعُ ،إن صدَقَت النتيجة على المدوّنتين كاملتين، أن يكون هذا التطوّر الذي صنعه القرآن في البنية الصوتية للغة العربية دافعا أساس لاستئناس الذائقة العربية وَقْع القوافي المقيّدة في شعر العصور اللاحقة. وهو ما سيمثّل توجيها للأذن العربيّة لاستقبال بنية صوتيّة مختلفة عن بنية الشعر الجاهلي التي تقوم على الصوائت في حشو البيت وعلى القوافي المطلقة، وذلك في إطار خلق نصوص تزاحم النصّ الشعريّ الجاهلي لتزحزحه عن المركز لصالح النصّ القرآنيّ الذي يسعى للهيمنة على خطاب اللغة العربية.

2. **البنية الصائتيّة:**

	النص الشعري		النص القرآني	
	عددها	نسبتها	عددها	نسبتها
الصوائت الطويلة	83	٪27.12	74	**٪23.34**
الصوائت القصيرة	223	**٪72.88**	243	**٪76.66**
عدد الصوائت	***306***	**٪100**	***317***	**٪100**

تُظهِرُ البنية الصائتيّة للمدوَّنتيْن ميْلَ النصّ القرآنيّ إلى توظيف الصوائت القصيرة مقارنة بالنصّ الشعريّ الجاهليّ. وهو تطوّر لافتٌ لأنّه يمسّ بالبنية الخطيّة الزمنيّة للنصّيْن؛ بحيث تبدو في النصّ القرآني قصيرة؛ أي المدى الزمني للنصّ القرآني أقلّ من نظيره الشعريّ إذا كانا بنفس عدد الفونيمات.

وينعكس ذلك أيضا على المدى الزمني الخطّي الكتابي إذ يجعل النصَّ القرآنيّ أكثر اختصارا من حيث التجسيد الخطيّ الكتابي مقارنة بنظيره الشعريّ الجاهليّ، خاصة وأنّ العربيّة. كباقي الكتابات الساميّة. لم تكُنْ تَرْسُم الصوائت القصيرة في كتابتها خاصة في العصر الجاهلي قبل نزول القرآن[16]، وإنّما ظهرت الحاجة إلى رسم الصوائت القصيرة (= الحركات)

لضبط النصّ القرآنيّ صوْنا له من اللحن و حفظا له من التحريف[17].

ويُفترضُ هنا أنّ هذا المنحى التطوّري الذي رسمه النصّ القرآني بتكثيفه للصوائت القصيرة في مقابل الطويلة مقارنة بالنصّ الشعري الجاهلي، يُفترض أنّه كان دافعا أسهم في إبراز ضرورة تجسيد الصوائت القصيرة برموز كتابيّة مميّزة لها لتكونَ أداة فعّالة في الاستجابة للتغيّرات السوسيولوجية والديمغرافية التي طرأت على المجتمع عبر استيعاب القارئ غير العربيّ عقب الفتوحات ودخول أُمم من الأعاجم في الإسلام.

إنّ في هذا الاتّجاه نحو دعم تطوير الكتابة من خلال مَرْكزَةِ الصوائت القصيرة حثٌّ على الانتقال من الشفاهية إلى الكتابية؛ وهو ما يرسّخه النصّ القرآنيّ بافتتاح نزوله بـ:"اقرأْ"، وهو ما يستلزم منطقيّا حضور الكتابة، كما يرسّخه كون آية "كتابة الدَيْن" أطول آي القرآن لأهميّة الكتابة في الحفاظ على الحقوق وعلى تماسك النسيج الاجتماعيّ.

وفي هذا الانتقال من الشفاهية إلى الكتابيّة انتقال من الموقف الخصاميّ للمتكلّم الشفاهيّ إلى الموقف المتدبّر للقارئ ؛ إذْ "تعتمد الكتابة على النصّ اللغويّ المكتوب المكتمل المجرّد من سياقه الوجوديّ الحاضر. بينما تعتمد الشفاهيّة على السياق الوجوديّ الحاضر: ردود الفعل المتبادلة بين الطرفين : باثّ/ مُستقبِل"[18].

والانتقال من الشفاهيّة إلى الكتابيّة هو الخطوة الأولى التي نقلت البشريّة من عتمة عصر ما قبل التاريخ إلى أضواء التاريخ[19]، فلا يُستبعدُ أن يكون انتقال العرب من الشفاهيّة الجاهليّة إلى الكتابة القرآنيّة خطوة أولى لانتقال الناس من الظلمات إلى النّور كما يعبّر النصّ القرآنيّ في مواضع كثيرة.

ويقوم نقل اللغة العربيّة من المشافهة إلى الكتابة. عبر إسهام البنية الصوتيّة في الدفع نحو ذلك. يقوم بحماية اللغة العربية من الموت والاندثار؛ إذ تؤكّد الدراسات على ترابط طرديّ وثيق بين الكتابة وبقاء اللغة، فكلّما كانت اللغة تُكتَبُ أكثر زادت فرصها في البقاء، وكلّما قلّت كتابتُها زادت فرص موتها واضمحلالها[20].

كما أنّ رفع النصّ القرآني لنسبة الصوائت القصيرة في البنية الصوتيّة للغة العربية مقارنة بالنصّ الشعري الجاهلي .كما يظهر من فحص المدوّنتيْن العيّنتيْن.يُعلِنُ عن التوجّه إلى تقليص النزعة الغنائية الإنشائية الناتجة عن الظواهر المرتبطة بالصوائت الطويلة من نداء واستغاثة وغيرها، وممّا سمّاه ابن جنّي في الخصائص بمطل الحركات والتطويح والتطريح ممّا يدلّ على الصراخ ومدّ الصوت، وهو ما يرتبط بحالة إنشاد الشعر الجاهلي . وعموم الشعر . لإبراز غنائيّته[21].

وليس أدلّ على ذلك من ملاحظة الدارسين ولعَ الأعشى بالصوائت الطويلة في شعره لارتباطه بالإنشاد والتغنّي[22]؛ ولذلك سمّي :"صنّاجة العرب"، وملاحظة بعضهم الآخر كيف أنّ وفرة حروف المدّ واللين في النصّ الشعريّ تجعله "نصّا غنائيا ذاتيا على المستوى النفسي الوجداني... ممّا يسمح للشاعر بالتعبير المرهف الحار عن جيشانه العاطفيّ "[23].

ومن جهة أخرى يُفترضُ أنّ ميل النصّ القرآنيّ إلى مَرْكزَة الصوامت مقابلة بالصوائت، ومركَزَة الصوائت القصيرة مقابلة بالصوائت الطويلة، وذلك في مقابلة البنية الصوتيّة للنصّ الشعري الجاهلي . بحسب العيّنة المدروسة . يُفتَرَضُ أنّه إعداد للأذن العربيّة لتَقَبُّلِ إيقاعٍ جديد يُحدثُ قطيعة مع إيقاع البحر الطويل الذي يهيمن على الشعر الجاهليّ، وهذا الإيقاع هو البحر البسيط الذي سيشيع فيما بعد خلال العصر العبّاسيّ ويتغلّب على البحر الطويل كما تبيّنه الإحصائيات[24].

ومن خلال مقارنة البنية الفونيمية للبحريْن سيبدو لنا ميْل البسيط إلى الصوامت والحركات القصيرة مقابل الطويل، وذلك من خلال صورتيْهما العروضيتين النموذجيتين:

الطويل	فَعولُنْ مَفاعيلُنْ فَعولُنْ مَفاعيلُنْ	فَعولُنْ مَفاعيلُنْ فَعولُنْ مَفاعيلُنْ
البسيط	مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ

وهو ما ينتج عنه الجدول التالي بالنسبة للبنية الفونيمية العامة:

	بحر الطويل		بحر البسيط	
	عددها	نسبتها	عددها	نسبتها
الصوامت	36	٪56.25	44	٪61.11
الصوائت	28	٪43.75	28	٪38.89
المجموع	64	**100**	72	**100**

وينتج عنه الجدول التالي بالنسبة للبنية الصائتية:

	بحر الطويل		بحر البسيط	
	عددها	نسبتها	عددها	نسبتها
الصوائت الطويلة	12	٪57.14	04	٪14.29
الصوائت القصيرة	16	٪43.76	24	٪85.71
المجموع	28	**100**	28	**100**

والجدولان يُبرزان مَيْلَ البحر البسيط إلى مَركَزة الصوامت مقابلة بالصوائت، ومركَزةِ الصوائت القصيرة مقابل الصوائت الطويلة، وهو ما يقرّبه من البنية الصوتية للنصّ القرآنيّ، كما يبْرُزُ من خلال الجدوليْن ميل البحر الطويل إلى مَرْكزَة الصوائت مقابل الصوائت، ومَرْكزَةِ الصوائت الطويلة مقابلة بالقصيرة، وهو ما يجعل بنيته الصوتيّة قريبة من بنية النصّ الشعري الجاهليّ.

وبهذا نفترض أنّ النصّ القرآنيّ قد دفع بالبسيط إلى مركز البنية العروضية للشعر العربيّ بعد نزوله، وقلّص من هيمنة البحر الطويل، وهو ما يُعدّ تطوّرا مهمّا يَصنَعُ قطيعة معرفية مع إرث البحر الطويل الجاهليّ لصالح القيم الجديدة التي يحملها القرآن ويبشّر بها، جماليا واجتماعيا وإنسانيا.

وإذا أضفنا إلى هذا الافتراض الافتراضَ المتعلّق بالقافية أعلاه والذي يشير إلى مزاحمة القافية المقيّدة، التي تشبه غلبة الفواصل الساكنة على بنية النصّ القرآنيّ، للقافية المطلقة التي

كانت مهيمنة للشعر الجاهلي، إذا جمعنا هذين الافتراضيْن فإنّنا أمام نقلة تاريخيّة نوعية تفتح مجالا لقراءات متعدّدة ومداخل متنوّعة؛ حيث يدلّ ذلك على سعي القرآن إلى إحداث قطيعة مع أهمّ مكوّنيْن للشعر في التعريف العربيّ له وهما :"الوزن والقافية"، إذ الشعر عند العرب كلام موزون مقفّى. وبذلك يزيح النصُّ القرآنيّ النصَّ الشعر الجاهليّ من مركز النصوص العربيّة من خلال استبدال البحر الطويل بالبسيط وأيضا من خلال زعزعة هيمنة القافية المطلقة، ليصنع ذاتا عربيّة جديدة تستند في تكوينها إلى بنية صوتية جديدة.

إنّ هذه الفرضيات الأوليّة الناتجة عن فحص كميّ لمكوّنات من البنية الصوتية لمدوّنتيْن جزئيتيْن من النصّ الشعريّ الجاهلي والنصّ القرآنيّ، هذه الفرضيات إن ظهرت في فحص وإحصاء البنية الصوتية للمدوّنتيْن كاملتيْن فإنّها ستبيّن تغيّرات هامّة، وستوضّح تطوّرات تاريخية للبنية الصوتية للغة العربية من الشعر الجاهلي إلى القرآن، ويمكنها أن تفسّر كثيرا من مسارات اللغة العربية وحركتها عبر التاريخ بين مرحلتين مميّزَتَيْن في تاريخها.

هوامش البحث:

(1). انظر: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بوفون و: جورج إليا سرفاتي، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012، ص:131.

(2). انظر: في مناهج البحث اللغوي، عبد الجليل مرتاض، دار القصبة، الجزائر، 2003، ص: 53.

(3). محاضرات في علم اللسان العام، فرديناند دي سوير، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص:18.

(*). يجب التنبيه إلى أنّ ما يُفرزُه درس هاتين المدوّنتين الجزئيتيْن هنا هو مجموعة افتراضات تنتظر التصديق عند إحصاء فونيمات المدونتين الشعرية الجاهلية والقرآنية كاملتين، ولكن ذلك لا يسلب هذه الدراسة صفة العلمية لتوفّرها على منهج وعلى تقديم فرضيّات متسّقة ونظريات البحث اللساني الواردة في المصادر والمراجع التي تستند إليها .

(4). انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، ص: 177 وما بعدها.

(5). ديوان امرئ القيس، شرح وتقديم: د. ياسين الأيوبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص:261.

(6). الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1981، ص:46.

(7). فحولة الشعراء، الأصمعي، تح: محمود الربداوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986، ص:14.

(8). انظر: العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط22، ص:246.

(9). انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص: 60.

(10). الشعرية العربية، أدونيس، دار الآداب، بيروت،ط3، 2000، ص:25.

(11). من ذلك قوله تعالى: "أفلا تعقلون" ، "إن كنتم تعقلون:،"لعلّكم تعقلون"،فقد تكرّرت هذه العبارات في 23 آية من القرآن الكريم. (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر،ط1، 1986، ص:428.

(12). انظر: اللغة وعلم النفس، موفق الحمداني، مديرية الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، ص: 102، 96. يبيّن موفق الحمداني من خلال جدوليْن أنّ نطق الصوائت القصيرة يستغرق 100 إلى 150 ميليثانية في وسط الكلمة بينما تستغرق كل الصوامت. عدا الاحتكاكية. وقتا أقلّ بكثير. وأمّا من حيث الجهد المبذول في نطقها فالكسرة تستهلك 12 ميكروواط والفتحة 34 ميكروواط، بينما يستهلك النون 2.11 فقط وهو الأعلى بين الصوامت الواردة في الجدول الخاص بالجهد المبذول لنطق الأصوات اللغوية.

(13). انظر: اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، تر: د.أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، ع 263،نوفمبر، 2000، ص: 295. 296.

(14). انظر: دليل السوسيولسانيات، مجموعة من المختصين، تحرير: فلوريان كولماس، تر: د.خالد الأشهب و: ماجدولين النهيبي، المنظمة العربية للترجمة،بيروت، ط1، 2009، ص: 578.

(15). حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي ، تر: د. حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة،بيروت، ط1، 2000، ص: 211.

(16). انظر: في قضايا فقه اللغة العربية، صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:220.

(17). انظر: النظام السيميائي للخط العربي في ضوء النقوش السامية ولغاتها، د.يحي عبابنة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1998، ص:10. 11.

(18). الأدب الشعبي، د.أحمد زغب، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2008، ص: 32.

(19). انظر: السابق، ص:32.

(20). اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، تر: د.أحمد عوض، ص: 219..

(21). انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص:27.

(22). انظر:الإنشاد والغناء في الشعر الجاهليّ، د.أحمد مبارك الخطيب، دار الحوار،اللاذقية ، ط1، 2009، ص:163.

(23). شعرنا القديم والنقد الجديد، د. وهب أحمد روميّة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة،ع 207،مارس، 1996، ص: 174.

(24). انظر: جمالية التشكيل العروضي والإيقاعي للبحر الطويل، خلف خازر الخريشة، " مجلة دراسات"، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، الأردن، م41، ملحق 2، 2014، ص: 789.